IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية
ISSN (E) : 2707 – 5648 II ISSN (P) : 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
المجلد 3 , العدد 2 , كانون الأول 2022

أدبُ الرحلةِ بين فرضيات الاكتشافِ وتمثلات المثاقفةِ (عربُ الهورِ لـ وليفريد ثيسيغر) مثالاً

أ. م. د. محمد قاسم لعيبي [1]

الملخصُ

يُعدُّ أدبُ الرحلةِ الشكلَ السّرديَ الأكثرَ موائمةً لطرحِ تمثلاتِ التشاكلِ والتباينِ ؛ كونَهُ يرصدُ الواقعَ ويعملُ على تتبعِ حقائقِهِ ، فيُناهزُ رغبة المؤرخِ والشاهدُ في توثيقِ صورِ المجتمعاتِ في مرحلةٍ ما؛ ليكشفَ مستوياتِ التشاكلِ والتباينِ بين ثقافتينِ مختلفتينِ ، وعليه تَسعى هذهِ الدراسةُ لإماطةِ اللثامِ عن إحدى أهمِ الرحلاتِ الغربيةِ الى العراقِ ، تمثلتْ بكتابِ (عَرب الهورِ The Marsh Arabs) للرحالةِ الانكليزي وليفريد ثيسيغر، بوصفهِ مدونةً سَرديةً رحلية سَجّلتْ تفاصيلَ مهمةً عن حياةِ الأهوارِ في النصفِ الأولِ من القرنِ العشرين ، حاولتْ قراءَتها وتحليلَ متنِها الذي يعد نتاجًا وُسِمَ بجدتهِ التي تفرَّدَ بها فانمازَ بالاتساعِ والشموليةِ ،ودقةِ التوثيقِ ، فضلاً عن بعدهِ الفني السّردي ، ضمنَ إطارِ فرضياتِ الاكتشافِ وتمثلاتِ المثاقفةِ.

الكلمات الدالة : أدبُ الرحلةِ ،المثاقفةُ ، التشاكلُ والتباينُ

انتساب الباحث
[1] جامعة بغداد، كلية التربية للعلوم الإنسانية ابن رشد، العراق، بغداد، 10001
[1]mohammed.k@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر : كانون الأول 2022

Travel Literature between the Hypotheses of Discovery and the Representations of the Culture (The Marsh Arabs by English Traveler Fred Thesiger) As a Model

Dr. Mohammed Kasim Luaby [1]

Abstract

This study seeks to uncover one of the most important western trips to Iraq, represented by the book by the The Marsh Arabs by English traveler Fred Thesiger, as a nomadic narrative blog and documented important details about the life of the marshes in the first half of the twentieth century, thus reading and analyzing its material, which was characterized by breadth, comprehensiveness and accuracy of documentation As well as its narrative artistic dimension, within the framework of the hypotheses of discovery and the representations of the culture.

Key words : Travel literature , culture , Isomorphism and variance

Affiliation of Author
[1] University of Baghdad, College of Education (Ibn Rushd), Iraq, Baghdad, 10001
[1]mohammed.k@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Dec. 2022

المقدمة

لمْ يكنْ هاجسُ التّرحالِ بعيداً عن مخيلةِ الإنسانِ منذُ خُلقَ ، إذ طالما مثّلَ رغبةً ملحةً يسعى عن طريقها لاكتشافِ كُلِ ما هو غامضٌ ومجهولٌ ،تقفُ خلفَها حاجتهُ النفسيةُ التي ترتبطُ ببنيتهِ وكينونتهِ .

وقد رَسَّخت الرحلةُ موقعَها في الثقافاتِ المختلفةِ بوصفِها معبرًا ناجعًا للتواصلِ مع الآخرِ وحاولتْ التثاقفَ معهُ ، فتنوّعتِ الرحلاتُ بتنوعِ أغراضِها وأسبابِها ، لتؤسسَ لنفسِها فيما بعدُ موطناً ضمنَ مساحةِ الفنونِ الأدبيةِ التي أصبحتْ موضعَ اهتمامِ الباحثينَ على

مختلفِ مشـــاربِهم وتوجهاتِهم العلميةِ ؛لما توفرُهُ من كمٍ هائلٍ من المعلوماتِ لمختلفِ العلومِ .

يتكيء الرحّالةُ على العناصـــرَ الثقافيةَ في بناءِ مادتِهم الأدبيةِ (الرحلية) فيقدمونَ الصـــورَ الحيةَ التي تسـجلُ عاداتِ الشـعوبِ وتقاليدِهم وثقافاتِهم المختلفةِ ، وأســاليبِ حياتِهم ، ومن هنا فإن أدبَ الرحلةِ يمثلُ معينًا أوليًا تُدوّنُ فيه صـورٌ غيرُ معروفةٍ سـابقًا جاءتْ بعدَ رصد وتدقيق لمفاصلِ حياةِ شعوب أخرى لم نألفْها من قبلُ .

وعلى مرِ العصـــورِ كـانَ العراقُ أحدَ أهمِ محطـاتِ الرحـالـةِ الغربيينَ ؛ لما يتمتعُ بهِ من موقع اســتراتيجي مهم ، وخزين ثقافي ومعرفي غذتهُ الحضـــاراتُ الموغلةُ في التاريخِ التي قامتْ على أرضـــهِ ، إذ توافدَ على أرضـــهِ العديدُ من الرحالةِ على اختلافِ جنســياتِهم وتنوعِ مرجعياتِهم ، وعلى الرغمِ من اختلافِ هذه الرحلاتِ من حيثُ الغاياتُ والأهدافُ إلاّ أنّها يمكنُ أنْ تُعدَ محاولاتٍ جادةً للتواصـــلِ مع الآخرِ والتعرفِ عليهِ عبرَ المعاينةِ الواقعيةِ والسعي نحوَ الاكتشافِ ، بوصفهِ عاملَ جذبٍ وترغيبٍ .

مثّلَ العراقُ الثيمةَ الأســاسَ للعديدِ من الرحلاتِ الغربيةِ الى الشـرقِ ،إذ التمسَ هؤلاءِ الرحّالةُ تقديمِ صـورةٍ للواقعِ العراقي بكل تمثلاته الاجتماعية والثقافية والاقتصـادية والسـياسـية في مراحل زمنية مختلفة ،حتى أصـبحتْ هذه الكتاباتُ مصـادرَ مهمةً أرّختْ لتلك المراحلِ ووثّقتْ صوراً مهمةً عن حياةِ العراقيينَ ، ومنهم على سـبيلِ المثالِ لا الحصـر : (فلانين هتشـكوك ،فرانك هيرلي، غامن ماكسويل ،غافن يونغ ،ديفد هاريسون ، ولفريد ثيسيغر ، وسواهم كثير).

وبناءً على ما تقدّمَ فإنَّ دراستَنا تحاولُ أن تميطَ اللثامَ عن إحدى أهمِ الرحلاتِ الغربيةِ الى العراقِ تَمثلتْ بكتابِ (عرب الهور The Marsh Arabs) للرحّالة الانكليزي وليفريد ثيسـيغر، بوصـفهِ مدونةً سّـردية رحليةً سـجلتْ تفاصـيلَ مهمةً عن حياةِ الأهوارِ في النصـفِ الأولِ من القرنِ العشـرينَ، حاولت قراءتها وتحليلَ مادتِها التي وثقتْ صـوراً عن هذه المناطقِ في جنوبِ العراقِ ، وقد فضّـلنا ترجمةَ (د.سـلمان عبد الواحد كيوش) الصـادرةَ عن دارِ مصـر مرتضـى للكتابِ العراقي عامَ 2009 على الترجماتِ الأخرى ، لما تتمازُ بهِ من موضـوعيةٍ في اختيارِ الألفاظِ المناسـبةِ التي تعبّرُ عن مضـمونِها المحلي بدقةٍ ، عزّزتها درايةُ المترجمِ واطلاعُهُ على تفاصـيلَ مهمةٍ عن حياةِ الأهوارِ بكلّ مفرداتِها ،فضـلا عن حرصـهِ على إيرادِ ملاحقَ مهمةٍ في نهايةِ الترجمةِ وثّقت لأســماءِ الطيورِ والنباتاتِ ، وأنواعِ البناءِ من القصـبِ في تلكَ المناطقِ. ما جعلَ منه جهدًا مميزًا يكتسـبُ أهميتَـهُ من القيمـةِ التوثيقيـةِ للكمِ الهـائلِ من المعلوماتِ المتوافرةِ عن عالمِ الأهوارِ .

ولأجلِ الإحاطةِ بجوانبِ الموضـــوعِ جاءتْ دراســتُنا على النحوِ الآتي: مقدمة ، وثلاثة محاور ، وخاتمة ، فضلا عن قائمة المصادر والمراجع .

المحور الأول :**قراءةُ المتن** (اختصَ بالتعريفِ بالمؤلفِ والرحلةِ)

المحور الثاني : **تمثلاتُ الاكتشـافِ والمعاينة** (اهتمَ برصـدِ تمثلاتِ حياةِ الأهوارِ من الناحيةِ الاجتماعيةِ والثقافيةِ والاقتصـاديةِ التي وثّقتها الرحلةُ)

المحور الثالث : **سّـرديةُ الرحلةِ بين المثاقفةِ وأسـئلةِ التشـاكلِ والتباين** (خُصـصَ لدراسـةِ آفاقِ المثاقفةِ وطبيعةِ العلاقةِ بينَ الأنا والآخرِ ضمنَ معطياتِ التشاكلِ والتباينِ)

المحور الأول : قراءةُ المتنِ (المؤلف والرحلة)

وليفريد ثيسيغر :

هو الرحَّالةَ والمستكشفُ والكاتبُ الانكليزي ،وُلِدَ في أديس أبابا بأثيوبيا في الثاني من حزيرانَ عامَ 1910 ،والدهُ النبيلُ ثيسـيغر الوزيرُ البريطانيُ في الحبشـةِ ، تلقّى دراسـتَهُ الثانويةَ في مدرسـةِ (ايتون) والدراسـةَ الجامعيةَ في (اكسفورد) قبلَ أنْ يعودَ الى أثيوبيا في سنِ الرابعةِ والعشرين للمشاركةِ في مهمةِ استطلاعِ مجرى نهرِ أواش، وعملَ في عام 1933 في الإدارةِ البريطانيةِ للسودان .

شـــاركَ في الحربِ العالميةِ في معاركِ اســتعادةِ الحبشـــةِ من الايطاليينَ ، ثم أرسلَ بعد ذلك الى سوريا ودرسَ اللغةَ العربيةَ فيها، وانتقلَ للخدمةِ في قوةِ الطيرانِ البريطانيةِ في ليبيا (1).

تنقلَ ثيسـيغر بين أفريقيا والشَـرقينِ الأدنى والأوسـطِ لسـنواتٍ عدةٍ ،وقامَ برحلاتٍ عدةٍ الى الجزيرةِ العربيةِ ، وفي المدةِ ما بين 1945-1950 اجتـازَ الربعَ الخـاليَ أكثرَ من مرةٍ على ظهورِ الجمالِ، وزارَ الحجازَ وحضرموتَ وعُمانَ .

وحصـــلَ على ميداليةِ الجمعيةِ الجغرافيةِ في لندن ، وسُـــميَّ بـ (مبارك بن لندن) لعلاقاتهِ المميزةِ مع العربِ ، ثم ســافرَ الى ايرانَ والعراقِ وباكستانَ وافغانستانَ بينَ الأعوامِ 1950-1958 (2).

تُوفيَّ في 23/آب /2003 عن عُمرٍ يناهزُ (93) عامًا بعد صـراعٍ مع المرضِ فرضَ عليهِ عزلةً لمدةِ خمسـةِ أعوامٍ في شـقتهِ بلندن ، نعتهُ هيئةُ الاذاعةِ البريطانيةِ BBC بقولها : (ماتَ صـديقُ العربِ ،ماتَ عاشقُ الأهوارِ) (3) .

أبرزُ مؤلفاتهِ :

1- رمالٌ عربيةٌ عامَ 1959

2- عربُ الهورِ عامَ 1964

3- صحراءُ هور جبل عام 1979

والعديدُ من المقالاتِ ولاسـيما في مجلةِ الجغرافيةِ البريطانيةِ التي نشـرَ فيها تجاربَهُ الرحليةَ الى المناطقِ العربيةِ والآسـيويةِ والأفريقيةِ

الرحلة

دخلَ ثيسيغر العراقَ أولَ مرةٍ في شهرِ مايو عام 1948 ليزورَ كردستانَ العراقِ ابتداءً ، ومن ثمَّ اتجهَ نحوَ بغدادَ في حزيرانَ عامَ 1950 ، لينحدرَ صوبَ الجنوبِ قاصداً الأهوارَ فوصلَها في تشرينَ الأولِ عام 1950 ، لتستمرَ إقامتهُ فيها لغايةِ حزيرانَ من عام 1958 . تخللتها رحلاتٌ قصيرةٌ الى افغانستانَ وعددٍ من البلدانِ الاسيويةِ ، وزياراتٌ قصيرةٌ الي بلدهِ بريطانيا (4).

أمضى ثيسيغر كلَّ تلك المدةِ التي زارَ فيها الأهوارَ في التنقلِ بينَ قراها للتعرفِ على كلِ ما يتعلقُ بطبيعةِ الحياةِ فيها ، وتسجيلِ أساليبِ العيشِ فيها ،وتدوينِ الملاحظاتِ والتقاطِ الصورِ بكاميرتهِ الشخصيةِ ، فانبهرَ بجمالِ طبيعتِها وحدودِ سحرِها ، استقرَ ثيسيغر في الأهوارِ الوسطى ، وتستمرُ إقامتهُ أحياناً لسبعةِ أشهرٍ ، والعامُ 1957 هو العامَ الوحيد الذي لم يذهبْ فيهِ الى الأهوارِ.

كانتِ الأهوارُ في المدةِ التي زارَها ثيسيغر مترامية الأطرافِ وقد وصفَها بدقةٍ ، إذ تنقسمُ على مجموعتينِ رئيستينِ : الأولى الأهوارُ الواقعةُ شرقَ دجلةَ وأهمُها هورُ الحويزةِ ، والثانيةُ الأهوارُ الواقعةُ غربَ دجلةَ وأهمُها هورُ الحمَّارِ، وتتوزعُ حدودُها الاداريةُ بينَ ثلاثِ محافظاتٍ هي : (ميسانُ والناصريةُ ،والبصرةُ) (5)، وقد وصفَها ثيسيغر على النحو الاتي: ((يمكنُ تقسيمُ الأهوارِ الى الأهوارِ الشرقيةِ التي تقعُ شرقَ دجلةَ ، والأهوارُ الوسطى أو مركزِ الأهوارِ التي تقعُ غربَ دجلةَ وشمالَ الفراتِ ، والأهوارِ الجنوبيةِ التي تقعُ جنوبَ الفراتِ وغربَ شطِ العربِ))(6) .

ألف كتابَه المعروفَ (عربُ الهورِ) عامَ 1964 الذي تكَّونَ من (24) فصلًا عززَها بمجموعةٍ من الصورِ الفوتغرافيةِ التقطَها بكاميرتهِ الشخصيةِ تقدرُ بأكثرَ من 100 صورةٍ، واكتسبَ هذا الكتابُ تفردَهُ من اتساعهِ وشموليتهِ ، و دقتهِ في التوثيقِ ،وطولِ مدةِ إقامةِ مؤلفهِ في الأهوارِ التي امتدت لأكثرَ من ستِ سنينَ، فضلًا عن الأسلوبِ السّردي الذي جاءَ ليؤكدَ أدبيةَ هذا اللونِ من ألوانِ التأليفِ (7) .

أما مرجعياتُه المعرفيةُ عن عربِ الهورِ فقد تَمثَّلتْ باطلاعهِ على بعضِ الرحلاتِ التي سبقتْهُ الى العراقِ مثلِ كتابِ (الحاج ريكان) لـهيجكوك، وبعضِ المراجعِ البسيطةِ والتقاريرِ، فضلًا عن بعضِ الدراساتِ التي أرّختْ لحضاراتِ وادي الرافدينِ، التي لم تغنِ رغبتَهُ في التعرفِ على هذا المجتمعِ عن قربٍ.

المحور الثاني : تمثلاتُ الاكتشافِ والمعاينة

العادات والتقاليد

تبدو صورةُ المجتمعِ أكثرَ وضوحًا من عاداتهِ وتقاليدهِ التي تسّردُ طبيعة الإنسانِ في حياتهِ اليوميةِ ، و تكشفُ عن وجوهِ هذا المجتمعِ وطريقةِ تفكيرهِ وأساليبِ عيشهِ ،فضلًا عن مدى ارتباطهِ بجذورهِ الممتدةِ عبرَ التاريخِ ، فتمثلُ الجانبَ العفويَ الذي يتصلُ بسلوكهِ وممارساتهِ اليوميةِ التي يتبناها المجتمعُ من دونِ أن يقدمَ المبررات المقنعة لذلك ، فهي تمارسُ ((من غير أن يعرفوا حقيقةَ الأسبابِ التاريخيةِ التي دفعت اليها))(8) فتكتسبُ شرعيتَّها من الإذعانِ الجمعي والقبولِ المطلقِ ؛لارتباطهِ بطبيعةِ المجتمعِ وبنيتهِ التركيبيةِ.

تمثلُ العناصرُ الثقافية في كتابِ (عرب الهور) لـ ولفريد ثيسيغر مفصلًا مهمًا اتكأتْ عليه عمليةُ التوثيقِ لهذه الرحلةِ ، فنراه يسجلُ تفاصيلَ الحياةِ الاجتماعيةِ التي تميزُ مجتمعَ الأهوارِ ، فيتجهُ لتوثيقِ العاداتِ والتقاليدِ التي تمثلُ الموروثَ الثقافيَ لهذه المناطقِ ،وهي جزءٌ حيويٌ من هويةِ المجتمعِ وأصالتهِ ،فتوقفَ المؤلفُ عندَ كلِ ما لفتَ انتباهَه في هذا المجتمعِ، وأفاضَ في تسجيلِ عاداتهِ وتقاليدهِ ووصفَها بكلِ جزءياتها، فضلًا عن أساليبِ حياتِهم المختلفةِ .

وبناءً على ما تقدمَ كان لا بد له ابتداءً أن يسجلَ إعجابَهُ بقضيةِ (إكرام الضيوف) التي تُعدُّ من عاداتِ مجتمعِ الأهوارِ الأصيلةِ التي ترسَّختْ في وجدانهِ ، فعبّرَ عن انبهارهِ بهذه الصفةِ وراحَ يسعى لمعرفةِ الكثيرِ عنها ، فتوقفُ عندَ وجودِ المضيفِ واعتمادهِ مكاناً لاستقبالِ الضيوفِ ،فأولُ شيءٍ لفتَ انتباهَهُ عندَ اقترابهِ من حافةِ الأهوارِ كان كرمَ الحفاوةِ التي قوبلَ بها ((كان الشيخُ مزيد على رأسِ المستقبلينَ))(9) ، ويؤكد ثيسيغر تمسكَ هؤلاءِ الناسِ بعاداتِهم المعروفة بقوله : ((يكونون دائما شديدي التمسكِ بأعرافِهم أمامَ الملأِ))(10) وقد تنبَّهَ ثيسيغر الى قيمةِ هذه القضية لمجتمعِ الأهوارِ فانبهرَ بحرصِهم الشديدِ على التمسكِ بها على مختلفِ مستوياتِهم الاجتماعيةِ حتى عندَ عليةِ القومِ(الشيوخ) في إكرامِ الضيفِ ((بوصفهِ مضيفًا ، يجبُ عليه أنْ لا يأكلَ حتى يتيقنَ من أنَّ آخرَ ضيوفهِ قد شبعَ))(11)، بل يصلُ الأمرُ أبعدَ من ذلكَ في دعوةِ كلِ مَنْ يَمُّر بالقربِ من المضيفِ لتناولِ الطعامِ ، ويؤكدُ في موضعٍ آخرَ مدى كرمِ سكانِ هذه المناطقِ ولاسيما حيال الغرباءِ بقولهِ ((بإمكانِ الغريبِ الحلولُ في أيِّ مكانٍ بينَ المعدانِ كما هو الحالُ مع العشائرِ الأخرى ويتناولُ طعامهُ متى ما حلَّ))(12) ليقرَّ في نهايةِ المطافِ أن عادةَ إكرامِ الضيوفِ ملازمةٌ للشخصيةِ العربيةِ عمومًا ولسكانِ عربِ الهورِ خصوصًا ، وهي من العاداتِ الأصيلةِ ((إن هذهِ العشائرَ .. مازالتْ أمينةً على عاداتِها))(13) وأنَّ هذه

السمةَ هي جزءٌ أصيلٌ في حياةِ سكانِ هذه المناطقِ ، وقد بدتْ من تصويرِ مظاهرِ الكرمِ والحفاوةِ المختلفةِ وحسنِ استقبالِ الضيوفِ وارتباطِها بتقاليدِ هذا المجتمعِ التي لم يزلْ حريصًا عليها ، وهي قضيةٌ تتسعُ لتشملَ مناطقَ العراقِ عمومًا .

وفي قضيةٍ ذاتِ صلةٍ بالضيوفِ وأساليبِ إكرامِهم والحفاوةِ باستقبالِهم تبرزُ عادةُ تقديمِ القهوةِ العربيةِ لتكونَ عنوانًا لحسنِ الاستقبالِ ، وهي عادةٌ طالما ارتبطت بحياةِ العربي على مرِّ العصورِ بوصفِها ((المشروبَ الأولَ في البوادي خاصةً ، والأريافِ عامةً والمدينة أيضا ، فلا يكونُ ديوانٌ أو مضيفٌ أو ضيافةٌ مع غيابِها))(14) ، وبطبيعةِ الحالِ فإنَّ مجتمعَ الأهوارِ ريفيٌ لم يزلْ يتمسكُ بعادةِ تقديمِ القهوةِ العربيةِ ، فاهتمَ ثيسيغر بتأكيدِ قيمةَ القهوةِ لسكانِ الأهوارِ بتسميتِها بـ (العادةِ المقدسةِ) التي حافظَ عليها ونقلَها من جيلٍ الى آخرَ ، فاستغرق في تسجيلِ كلِ ما يتعلقُ بهذه القضيةِ بدقةٍ متناهيةٍ ابتداءً من ترتيبِ دلالِ القهوةِ وأنواعِها وأحجامِها ، والشخصِ المسؤولِ عن تقديمِها ، وأسلوبِ تقديمِها وطريقةِ إعدادِها ، فتراهُ يقولُ في وصفِ الدلالِ((توزعتْ ستُ دلالٍ رُتبت من أعلاهنّ وكانتْ بارتفاعِ حوالي قدمينِ ، حتى أصغرهن.. دائما ما تكونُ أصغرُ الدلالِ مهيأةً وجاهزةً لصبِّ القهوةِ الطازجةِ لأيِّ قادمٍ أو ضيفٍ)) (15)،وفي أسلوبِ تقديمِها للضيوفِ ((حملَ الرجلُ الدلةَ بيدِهِ اليسرى ، وفي يدِهِ الأخرى فناجينِ أكبرَ قليلًا من حجمِ البيضةِ))(16) ويقول أيضا ((العربُ لا يضعون سوى قطراتٍ قليلةٍ في الفنجانِ.))(17) .

إن هذه الصورَ التي سجَّلها ثيسيغر تمثلُ جزءًا من حياةِ عربِ الهورِ، فسماتُ الكرمِ وحسنِ استقبالِ الضيوفِ بدتْ واضحةٌ من العديدِ من المواقفِ التي حرصَ على توثيقِها متمثلةٌ بمظاهرِ الحفاوةِ التي شاهدَها وحضيَ بها هو شخصيًا ،فكلُ هذه العاداتِ والتقاليدِ جزءٌ من الممارساتِ الجمعيةِ التي تُعدُّ من مكوناتِ هويتِهم الخاصةِ.

المعتقدات

عُرفَ المجتمعُ العراقيُ بتمسكِهِ بالعديدِ من المعتقداتِ التي فرضتْ نفسَها بوصفِها ممارساتٍ يوميةً يحرصُ أبناءُ هذا المجتمعِ على إدامةِ ممارستِها لتمثل جزءًا من حياتِهم اليوميةِ ، ولا سيما سكانُ الأهوارِ ، وعليه فقد أثارتْ هذه المعتقداتُ (ثيسيغر) فحرصَ على توثيقِها بدقةٍ .

ولعلَّ أبرزَ هذه المعتقداتِ زيارةُ الأضرحةِ والأولياءِ ، و لا سيما أنَّ أرضَ العراقِ قد حوتِ العديدَ من هذه الأضرحةِ ، وقد ارتبطَ سكانُ الأهوارِ بهذه الأضرحةِ بشكلٍ وجدانيٍ يلبي جزءًا من حاجاتِهم النفسيةِ ، فتنبه (ثيسيغر) على أنَّها تمثلُ لهم حلماً طالما حاولوا تحقيقه ((فهم يأملونَ جميعًا بزيارةِ كربلاءَ والنجفِ ، والكلُ يأملُ أنْ يؤخذَ جثمانُهُ الى النجفِ ليدفنَ هناك))(18)، إذ يعتقدُ أغلبُ السكانِ بأنها توفرُ لهم شفاعةَ الأولياءِ في الآخرةِ ((يعتقدُ سكانُ الأهوارِ أنهم يستطيعونَ أن يضمنوا حمايةَ الإمامِ علي بن أبي طالب في الحياةِ الآخرةِ إذا ما دُفنوا بجوارِهِ في أرضِ النجفِ المقدسةِ))(19)، ولا يتوقفُ الأمرُ عند سكانِ الأهوارِ بزيارةِ المدنِ المقدسةِ في العراقِ فقط بل تعداهُ الى زيارةِ الأماكنِ المقدسةِ في البلدانِ الإسلاميةِ المجاورةِ ((وفي عمومِ جنوبِ العراقِ يفضلُ غالبيةُ الناسِ زيارةَ مشهد))(20) فيُعرف زائر مدينة مشهد في ايران بإطلاق كلمة (زاير) عليه .إن هذه المواقفَ التي ثبّتها ثيسيغر تبين لنا ما تؤديه هذه المعتقداتُ من أدوارٍ مهمةٍ في حياةِ سكانِ الأهوارِ ولا سيما أنها ذاتُ بعدٍ دينيٍ روحانيٍ ، تمثلُ جانباً آخرَ من مكوناتِ هويتِهم الخاصةِ في انتمائِها الإسلامي .

وعليه يمكنُ القولُ إنَّ بيئةَ الأهوارِ تمثلُ أرضاً مثاليةً لوجودِ العديدِ من المعتقداتِ التي تعتمدُ الموروثَ المتداولَ من جيلٍ الى آخرَ ، وهو ما دفع بعضهم الى وصفِها بقولِهم ((مستوطنة نموذجية لوجود الأساطير))(21) ومن بينِ أهمِ الأساطيرِ التي اعتقدَ بها سكانُ الأهوارِ (جزيرة حفيظ) التي تموضعتْ في الذاكرةِ الجمعيةِ لهم ، فالأسطورةُ ((سّردٌ تقليديٌ يتعلقُ في العادة بالاعتقادِ الديني والطقسِ الذي يعبّرُ عن الوضعِ المثالي للأشياءِ))(22) وهو ما شدَّ ثيسيغر الى أسطورةِ حفيظ فتوقفَ عندها وتابَعها باهتمامٍ عادًا إيّاها من المعتقداتِ التي يتفردُ بها مجتمعُ الأهوارِ . فتعرّفَ على وجودِها عندما سألهُ مُضيفهُ :

((هل سمِعتَ عن (الحفيظ) من قَبل ؟ /نعم ولكن قُل لي عنها المزيدَ/ الحفيظ جزيرةٌ ما هناك، فيها قصورٌ وأشجارُ نخيلٍ وحدائقُ من الرمانِ ،والجاموسُ فيها أكبرُ ممّا لدينا، ولكن لا أحدَ يعرفُ أين هي بالضبطِ))(23) يسكنُ الجنُ هذه الجزيرةَ وكلُ مَنْ يزورُها يُصابُ بالجنونِ و لا أحدَ يفهمُ كلامَهُ ، ليؤكدَ في نهايةِ المطافِ قناعتَهم الراسخةَ بوجودِ هذه الجزيرةِ قريبًا من أراضيهم ((الحفيظ هناك وهذا أمرٌ لا غبارَ عليه إسألْ أيّا كان ،الشيوخَ، والحكومةَ ،فالكلُ يعرفُ حفيظ))(24). إنَّ مثلَ هذه المعتقداتِ الراسخةِ في أذهانِ الناسِ تتصلُ اتصالاً مباشراً بطبيعةِ النظامِ الثقافي للمجتمعِ الذي يتبنى مرجعياتِهِ الخاصةَ ، التي غالبًا ما يؤثرُ العاملُ الديني في إدامةِ وجودِها ، فالمجتمعاتُ ((لا تقومُ الّا في ضوءِ حقيقةٍ ثقافيةٍ ما ، دينٍ وفلسفةٍ ، اسطورةٍ ، ايديولوجيا))(25). لقد منحَ سكانُ الأهوارِ للحفيظ هذه الخصوصيةَ بناءً على موروثٍ حكائيٍ تواصلَ انتقالهُ عبرَ مراحلَ زمنيةٍ عدّةٍ ،وهو من ملامحِ التفكيرِ الجمعي

لســـكانِ هذه المناطقِ ، الذي يعكسُ ثقافةَ المجتمعِ وتوجهاتهِ التي تتولى مهمةَ تقدمِ صورةٍ ما عن بيئةٍ بعينِها .

الحرفُ والمهنُ

بدا واضـــحاً مدى حرصِ (ثيســيغر) على توثيقِ كلِ ما يتعلقُ بحياةِ ســـكانِ الأهوارِ بجميعِ مفاصِـــلها ، وقد مكنتهُ مدةُ إقامتهِ الطويلة بينهم في الوقوفِ على أدقِ تفاصـــيلِ ممارســـاتِهم اليوميةِ ليســـجلَها ،وعليه لا بد أن يتوقفَ عندَ المهنِ والحرفِ المرتبطةِ بســـكانِ الأهوارِ مثلِ (الزراعـةِ وتربيـةِ الحيوانـاتِ على اختلافِ أنواعِها ، وصـــيدِ الأســماكِ والطيورِ) وهي المهنُ الأكثرُ انتشـــاراً ومزاولةً عندَ سكان الأهوار ، فضلاً عن مهنٍ أخرى تُعدُّ أقلَ أهميةً وشـــيوعاً ،ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّ هذه المهنَ والحرفَ تؤدي دوراً مهمًا في تحديدِ مكانةِ الإنســانِ الاجتماعيةِ وفقًا لتصـــوراتٍ خاصّـــةٍ حددتها البيئـةُ الثقافيـةُ لهذا المجتمعِ . فـالبربرةُ أنـاسٌ من الـدرجـةِ الثانيةِ ((البربرةُ ناسٌ من الدرجةِ أدنى يصطادون السمكَ بالشباكِ . يعيشـــونَ بين العشـــائر))(26) فالبربرةُ يعدّون أناسًـــا من الدرجةِ الثانيةِ بناءً على مهنتِهم التي أبعدتهم عن تقاليدِ المجتمعِ الأهواري ، فهم خارجَ حدودِ المألوفِ هم ومجموعةُ الناسِ الذين يشغلُهم الكسبُ التجاريُ ((حقيقةُ البربرة، فهم مثلُ (الحيّاك) والعطارينَ المتجولينَ والحدادينَ و(الحيســـاوية)والصـــابئة، خارجَ حدودِ المألوفِ ولا ينســـجمون مع أعرافِ ابنِ العشـــيرةِ بســـببِ انشـــغالِهم بالكســـبِ التجاري))(27) ، لقد انعكســـت ممارســـةُ هذه المهنِ والحرفِ على الموقفِ من تصـــنيفِ الســـكانِ ومكـانتِهم الاجتمـاعيـةِ بين أفرادِ المجتمع، وهي صـــورةٌ أخرى تعكسُ طبيعـةَ الحيـاةِ في مجتمعِ الأهوارِ وطرائقِ تفكيرِهِ .

بنية المجتمع

إنَّ تجربةَ ثيسيغر مع سكانِ الأهوارِ وتعايشَـه اليوميَ واختلاطَه بهم ســمحتْ لهُ بالتعرفِ على تفاصـــيلِ حياتهم وأســـاليبِ عيشِـــهم وطريقـةَ تفكيرِهم ، ومثـلُ هـذه التجربـةِ وضـــعـتْ بين يـديـهِ طبيعـةَ مجتمعِ الأهوارِ من حيثُ البنيـةُ والطبيعـةُ والثوابـتُ ، وقد سـعى بإخلاصٍ على توثيقِها في رحلتهِ بدقةٍ . فها هو يسـلط الضـوء أولًا الى (الاقطاع) مُمثلًا بالشيوخِ ومكانتِهم لما يملكون من أراضٍ زراعيةٍ وثراءٍ فاحشٍ على حســـابِ الفقراءِ من ســـكانِ الأهوارِ ((يمتلكُ بعضُ الشـــيوخِ من أمثالِ مجيد الخليفة مقاطعاتٍ واســـعةً جدًا تدرُّ عليهم مئاتِ الالافِ من الدنانيرِ كلَّ ســـنةٍ))(28) وبطبيعةِ الحالِ ،فإنَّ مثل هذه المكانةِ للشـــيوخِ منحتهم الســـطوةَ والقدرةَ على اســـتغلالِ البســـطاءِ من أبناءِ مناطقِ الأهوارِ من دونِ أيةِ حمايةٍ قانونيةٍ ((أصـــبحَ الشـــيوخُ هم المالكون وتحوّلَ أبناءِ عشـــائرهِ الى مجرد فعلة في حقولهم ومزارعِهم مقابلَ ســـهمٍ من الغلةِ أي تأمينٍ أو حمـايـةٍ قـانونيتين))(29) ، إذ يعتمـدُ هؤلاءِ الشـــيوخُ على نظـامِ العشـــيرةِ الذي يمثلُ الحلقةَ الأهمَ في بنيةِ مجتمعِ الأهوار،وهي بنيةٌ خاصـةٌ لها مقوماتُها الاجتماعيةُ والثقافيةُ والاقتصاديةُ فتتبعُ السلطةَ التي قوامُها العاداتُ والتقاليدُ التي بمثـابـةِ القـانونِ الحـاكم (30) ، حتى أنهم يمارسون دورَ القضاءِ أحيانًا لأنَّ الناسَ يفضلونَ التعاملَ مع الشيوخِ على التعاملِ مع الحكومةِ .

وتأتي بالدرجةِ الثانيةِ بعدَ شـخصـيةِ الشيخ شـخصـية (السيد) في هرم بنيةِ المجتمع ، وهي من الشـــخصـــياتِ ذاتِ البُعدِ الديني الذي يحتلُ موضـــعًا بـارزًا في مجتمعِ الأهوار؛ لمرجعيتِهم من نـاحيـةِ النســـبِ المتصـــلـةِ بالرســـولِ الكريمِ (ص) ، ممّا جعلهم يحضـــونَ باحترامِ وتبجيلِ الناسِ في الأهوارِ، إذ ((يحتلُ الإنســان الذي ينتمي الى سلالةِ النبي مكانةً عظيمةً بين أعضـاءِ جماعتهِ))(31) ،وعليهِ فالسيدُ يتمتع بهالةٍ من الاحترامِ والتقديرِ لدى سكانِ الأهوارِ، فلفظةُ سّـــيد ((عندَ عشـــائرِ الأهوار، لا زالت هذه الكلمةُ عنوانَ تبجيلٍ وتوقيرٍ وتعني انحدار الإنســانِ من ســلالةِ النبي محمدٍ (ص))(32) وقد وصـــفَ ثيســـيغر أحدَ الســـادةِ المعروفينَ في تلك المناطقِ وهو (الســـيد صـــروط) بقولهِ ((اكتشـــفتُ حالًا أنهُ الرجلُ الأكثرُ تبجيلًا وهيبةٌ من بينِ السادةِ...الذي طافت سمعتُه وشهرتُه وامتدت الى كلِ أرجـاءِ جنوبِ العراقِ لـذا اكتســـبَ مضـــيفـهُ قداســـةٌ وحرمـةَ الجامع))(33)، أما المســتوياتُ الأخرى في بنيةِ المجتمعِ فهي غالبًا ما تكونُ من عامةِ الناسِ وتحددُ مكانَتها الاجتماعيةَ وقيمتَها بحســبِ المهنةِ التي يحترفُها فضـــلا عن المســـتوى المادي والثقافي كما بيّنا في الصـــفحاتِ الســـابقةِ ،التي تتوزعُ بين الفلاحينَ الذين يعتمدونَ على زراعةِ المحاصـــيلِ المختلفة مثلَ (الرزِ والشـــلب) وســـواها، والمعدانُ الذين يعيشون في أعماقِ الهورِ ويمتهنون تربيةَ الجاموسِ وبعضِ المواشي الأخرى ، فضلا عن الصيدِ .

ويوردُ ثيسيغر صـورا قليلةٌ عن المرأةِ تبدو فيها ملتزمةٌ بعاداتِ بيئتِها وتقاليدِها ((لا أثرَ لامرأةٍ منفلتةٍ بينَ العشـــائرِ، ولا عاهرٍ ولا غيرِ ها))(34)، وهي رمزُ العفةِ الشـــرفِ والحياءِ ، وتكتفي بأداءِ مهامِها داخلَ البيوتِ ،مع بعض المهامِ البســيطةِ التي غالبًا ما تكون بعيدًا عن مجتمعِ الرجالِ ، وهو بذلك يراعي طبيعةَ مجتمعِ الأهوارِ الملتزمِ والمتحفظِ ، ولا سيما فيما يخصُ المرأةَ .

السكن والبيوت

كعادته حرصَ ثيســـيغر على تقصـــي كلِ ما يتعلقُ بحياةِ ســـكانِ الأهوارِ فلم يتركْ شـــاردةً ولا واردةً إلاّ وتوقّفَ عندها ، ووثّقها في

رحلتهِ ، وعليه فقد أثارتهُ مساكنُ سكانِ الأهوارِ ببساطتِها وخصوصيتِها ، فيبدأُ مع (المضيف) الذي يعدُ من أهمِ الرموزِ التي يعتزُ بها سكانُ الأهوارِ ، لما يحملُ من قيمٍ أصيلةٍ ترتبطُ بشخيصتِهم ، فهو بالنسبةِ لَهم ((مركزٌ هامٌ من مراكزِ الحياةِ القبليةِ 000 يتقررُ المركزُ الاجتماعيُ لصاحبهِ))(35) ، وقد عبَّر ثيسيغر عن دهشتهِ عند مشاهدةِ المضيف أولَ مرةٍ ((ما أدهشني هو البناءُ الاسطوانيُ المقبّبُ المسقفُ بالبواري عسليةِ اللونِ ،عندَ كلِ نهايةٍ من نهاياتهِ هناك أربعُ أعمدةٍ مستدقةِ الأطرافِ وقد تجاوزتْ خطَ السقفِ))(36)،ويؤدي المضيفُ أدوارًا غايةً في الأهميةِ لعربِ الهورِ ، فهو فضلا عن كونهِ مكاناً لاستقبالِ الضيوفِ ،هو المكانُ الذي تُدارُ من فيهِ شؤونُ الناسِ اليوميةُ الاجتماعيةُ والاقتصاديةً((الدورُ الذي يلعبهُ المضيفُ في الحياةِ الاجتماعيةِ والسياسيةِ للعشيرةِ بالغُ الأهميةِ))(37) وهو الأمرُ الذي شخّصَهُ ثيسيغر بدقةٍ بقولهِ: ((المضيفُ بطبيعتهِ ليسَ مكانًا لاستقبالِ الضيوفِ فحسبْ ،بل يُعدُّ أشبَه بقاعةِ اجتماعاتٍ حيثُ يجلسُ الشيوخُ صباحًا ومساءً يديرون مقاطعاتِهم الواسعةَ ولحسمِ النزاعاتِ بينَ أفرادِ قبائلِهم))(38). أمَّا بيوتُ عامةِ الناسِ فقد نالتْ حظَّها هي الأخرى من اهتمامِ ثيسيغر بالوصفِ الدقيقِ فيقول ((كان بيتُ الزايرِ واحداً من عدةِ بيوتِ فصلتها خنادقُ من مياهٍ قذرةٍ باتساعِ عدةِ أقدامٍ ،وكان قبلَ النهايةِ المفتوحةِ لهذه الأبيات ثمةَ فناءٌ احتلَ مساحةُ أكبرَ من مساحةِ البيتِ نفسهِ))(39) ويقولُ في موضعٍ آخرَ ((كان داخلَ البيتِ بطولِ حوالي ستةِ أذرعٍ وبعرضِ ذراعينِ وبارتفاعِ ثمانيةِ أقدام وله سبعةُ شِبابْ .. قُسمت الغرفةُ الى قسمينِ بهيكلٍ يشبهُ السريرَ من سيقانِ القصبِ بُني بإزاءِ الجدارِ الأيسرِ .. خُصصَ القسمُ القريبُ من الغرفةِ للنساءِ حيثُ تجري عمليةُ إعدادِ الطعامِ))(40) . إنَّ هذه المضايفَ والبيوتَ التي توقفَ عندها ثيسيغر تعكسُ جانبًا من خصوصيةِ سكانِ الأهوارِ ، ولا سيما أساليبُ تقسيمِ البيوتِ بطريقةٍ تسمحُ للجميعِ بالتواصلِ مع بعضِهم ، مع تأكيد تخصيصِ أجزاءٍ للنساءِ ،فضلا عن أساليبِ هندستِها التي تلبي طبيعةَ المنطقةِ جغرافيًا وتتلاءمُ والأحوالَ الجويةَ لمناطقِ الأهوارِ صيفًا وشتاءً .

الأزياء

شدتِ البساطةُ في حياةِ سكانِ الأهوارِ ثيسيغر، فالإنسانُ في هذه المناطقِ بسيطٌ في كلِ شيءٍ، في طعامهِ وملبسهِ وحتى بأساليبِ تواصلهِ مع الآخرينَ ، وهو الأمرُ الذي يُعدُّ انعكاسًا طبيعيًا لطبيعةِ هذه المناطق التي تنأى بنفسِها عن تعقيداتِ الحياةِ وتفضلُ البساطةَ والسلاسةَ في التعاطي مع مختلفِ الأمورِ الحياتيةِ . فسجلَ ثيسيغر ذلك بوصفهِ لأزياءِ سكانِ الأهوارِ ، إذ لاحظَ أن (الدشداشةَ البيضاءَ أو الداكنةَ تمثلُ مجملَ لباسِ الرجالِ ، باستثناء الأطفالِ الذين يمكنهُم ارتداءَ ألوانٍ أخرى ((ككل المعدانِ كانت دشاديشُهم أما بيضاءَ أو داكنةً باستثناءِ الأطفالِ فبإمكانِهم لبسُ دشاديشَ ملونةٍ مرحةٍ))(41)، أما أزياءُ النساءِ الكبيراتِ في السنِ فكانت باللونِ الأسودِ غالبا فيقولُ عندَ وصفهِ إحدى النساءِ ((كانتْ بوجهٍ جميلٍ وحنكٍ مستدقٍ عذبٍ ،تلبسُ رداءً معتمًا مع عباءةٍ سوداءَ خشنةٍ تنحدرُ من أعلى رأسُها))(42) هذا فيما يخصُ النساءَ المتقدماتِ في العمرِ ، أما النساءُ الصغيراتُ في السنِ فيرتدينَ مختلفَ الألوانِ ((أمامَ بيتٍ آخر كانتْ هناكَ فتاتانِ بردائينِ طولينِ مزخرفينِ أحدهما بالأحمرِ والآخرِ بالأخضرِ))(43) . ومن الجديرِ بالذكرِ أن هذه الأنماطَ من الأزياءِ لا يتفردُ بها سكانُ الأهوارِ من دونِ سواهم من سكانِ العراقِ ، بل هي تمثلُ اللباسَ المعروفَ لدى أغلبِ المناطقِ الريفيةِ في العراقِ التي لم تزلْ الى اليوم ترتدي هذه الأزياءَ مع الاحتفاظِ بتفاصيلَ صغيرةٍ تميزُ منطقةً عن أخرى ، وهي تمثلُ لهم تعبيرًا حيًا عن أصالةِ هذه المناطقِ وعراقتِها ،فهي تؤصلُ لموروثِ المجتمعِ وامتداداتهِ الأصيلةِ .

المحور الثالث: سّردية الرحلةِ بين المثاقفةِ وأسئلةِ التشاكلِ والتباين

تستندُ العلاقاتُ الإنسانيةُ على رؤى تفاعليةٍ جادةٍ يكونُ قوامُها التشاكلَ والتباينَ التي تمثلُه الأصولُ الثقافيةُ لكلٍ من (الأنا والآخر) ،الأمرُ الذي يُعدُّ بيئةً مناسبةً للبدءِ بمحاولاتِ التواصلِ بينَ الثقافاتِ المختلفةِ ،على الرغمِ من وجودِ محدداتِ التباينِ الثابتةِ، بحيثُ باتَ من الضروري بمكانٍ تواصلُ الحضاراتِ فيما بينها لتزودَ الواحدةُ الأخرى بالعديدِ من سماتِ خصوصيتِها وتفردِها ، سعيًا منها لإغناءِ الخزينِ المعرفي والفكري بأنماطٍ مغايرةٍ عما هو سائدٌ لديها .

إنَّ هذا التماسُ بين الحضارات هو الذي يتيحُ عمليةَ التثاقفِ التي تسعى اليها العقولُ الأكثرُ انفتاحًا ،بما أنها تعرّفتْ على ثقافاتٍ جديدةٍ متباينةٍ مع ثقافتِها التي((تؤدي الى الانفصالِ عن الخطاباتِ الثقافيةِ الأصليةِ ،وتبني نماذجَ ثقافيةً جديدةً))(44) وفي ظلِ هذه المعطياتِ نتعرفُ على عواملِ التمايزِ بين الحضاراتِ ،مما يسمحُ بالتقاطِ سبلٍ جديدةٍ للتواصلِ يكونُ قوامُها التعرفُ على الآخرِ والإقرارَ بتباينهِ .

وعليه تُعدُّ الرحلةُ الشكلَ السّرديَّ الأكثرَ موضوعيةً في طرحِ تمثلاتِ التشاكلِ والتباينِ ، لأنها تتبنى الواقعَ وتسعى لتوثيقِ الحقائقِ ، وهي بذلك تجاورُ دورَ المؤرخِ والشاهدِ الذي يسعى الى توثيقِ صورٍ في مرحلةٍ ما لتكشفَ مستوياتِ التشاكلِ والتباينِ بين ثقافتينِ مختلفتينِ ، ضمن إطارِ المثاقفةِ بوصفِها ((تجربةً إنسانيةً تتمكنُ

من خلالِها الذاتُ أو بالأحرى وعيُ الذاتِ من حيثُ هو تمثلٌ للهويةِ ، على الانفتاحِ على الآخرِ لدرجةِ اعتبارهِ جزءًا من تاريخِ هذه الذاتِ مع وعيِ المسافةِ التي تفصلُ بين هذه الذاتِ وتاريخِها من جهةٍ ، وبين الذاتِ الأخرى من جهةٍ أخرى))(45) ، بمعنى السماحِ بذوبانِ الهويةِ الأصليةِ في حيثياتِ هويةِ التبني المكتسبِ مع تأكيدِ الحفاظِ على السماتِ الأصليةِ للهويةِ الأمِ (46) مما يجعلُ من هذه النصوصِ الرحلية مؤهلةً لتكونَ راصدًا للآخرِ بصوره المختلفةِ تحددُ ملامحَ خصوصيتهِ بدقةٍ .

وبحسبِ هذا الفهمُ، فإنَّ أدبَ الرحلةِ يقدمُ نفسهُ بوصفهِ سجلًا غنيًا بالصورِ الجديدةِ عن الشعوبِ الأخرى ، فهو أدبٌ يدخلهُ البعضُ ضمنَ مباحثِ درسِ الصورلوجيا الذي((يهتمُ بدراسةِ الصورِ والتصوراتِ والتمثلاتِ والتمثيلاتِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ التي تكّونُها الشعوبُ عن بعضِها بعضا، وتنتجُها النصوصُ، سواء أكانت أدبيةً أو غير أدبيةً، عن الغيرِ، وبشكلٍ خاصٍ كتبَ الرحلاتِ التي تُعدُّ أرضيةً ملائمةً لإثارةِ إشكاليةِ الهويةِ والغيريةِ))(47).

ويبدو أنَّ غاياتِ رحلةِ (ولفريد ثيسيغر) لم تتجاوزْ هذا التوجهَ في محاولةِ التواصلِ مع الآخرِ والتعرفِ عليهِ عن قربٍ ،الذي يمثلُه (عرب الهور)، إذ حفلتْ بتسجيلِ تفاصيلِ الحياةِ في مناطقِ الأهوارِ بأبعادِها المختلفةِ (الثقافيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ) ، وهذه الرحلةُ تضعُ بينَ أيدينا تصوراتٍ مهمةً تدعو الى الوقوفِ على مقاصدَ بذاتِها تعززُ فكرةَ التواصلِ بين الثقافاتِ المختلفةِ مع الحفاظِ على سماتِ التمايزِ ضمن حدودِ خصوصيةِ (الأنا والآخر)، إذ يقومُ السّردُ الرحليُ على المعاينةِ الواقعيةِ التي تستطيع بوساطتها بناءَ تصوراتِها ذات الصورِ السّرديةِ وهي بمجملِها تمثلُ ما التقطتهُ عيونُ الرحالةِ المُعاينةُ للبيئةِ الجديدةِ .

فنراهُ يبدأُ بتأكيدِ ما يشعرُ بهِ حيالَ (عرب الهور) ،وهو خلاصةُ ما خلّفته هذه الرحلةُ في نفسهِ من أثرٍ إيجابي في سنواتٍ عدةٍ ((لقد أمضيتُ تلك السنينَ في الأهوارِ لأنني أجدُ المتعةَ في ذلك، ومن خلالِ هذه السنين عشتُ بين سكانِ الأهوارِ واحدًا منهم))(48) ، يسعى ثيسيغر بهذا المقطعِ السّردي الى إثباتِ إمكانيةِ التواصلِ بين الشعوبِ ،لأن سبلَ تحققِها في بُعدها الإنساني متوافرةٌ ،ومن ثم تسعى الأنا لتكونَ جزءًا من الآخرِ، ومثلُ هذا التصورِ لدى ثيسيغر تعززهُ مواقفُ الآخرِ (عرب الهور) الذين طالما أكدوا ما ذهبَ اليهِ ((إذا أنتَ واحدٌ منا))(49). إنَّ هذه الصورةَ السّرديةَ المفردةَ عن التواصلِ الإيجابي بين الأنا والآخرِ ممكنةُ التحققِ طالما استندت الى بُعدها الإنساني الثرِ ، ويمكنُ ملاحظةُ أنَّ ثيسغير هو الآخرُ قد أكدَ في أكثرَ من مناسبةٍ ميلهُ لسكانِ الأهوارِ واستحسانَهُ لأساليبِ حياتهم ((إنَّ القليلَ الذي رأيتهُ لدى سكانِ الأهوارِ قد راقني. إنهم مبتهجون وحميميون وأعجبتني سيماءُ وجوههم وتعبيراتِها. كانت طريقتُهم في الحياةِ على قدرِ تأثرِها البسيطِ بالعالمِ الخارجي حتى الآن متفردةً))(50) يمكن أن نلمسَ بهذه الصور مدى إعجاب ثيسيغر بحياةِ عربِ الأهوارِ التي لم تتأثرْ بتجاذباتِ العالمِ الخارجي، فحملتهُ على المقارنةِ بين هذا العالمِ البسيطِ الذي يحافظُ على خصوصيتِه وآثارِ الحضارةِ الأوربيةِ التي بدأت تُعرفُ في العراق آنذاك ، يقول((لا أثرَ للحداثةِ الرتيبةِ الكئيبةِ ، فلا بدلاتٌ أوربيةٌ مستعملةٌ تنتشرُ كآفةٍ بين أرجاءِ المناطقِ الأخرى من العراقِ))(51)، إنَّ ثيسيغر قد سعى من هذه المقارنةِ الى استحضارِ بيئتهِ الخاصة (أوربا) ليتمَ تقييمَ الموقفِ تبعًا لمرجعياتِه الخاصةِ ، وهو ما يمكنُ قراءتُه على أنهُ اعترافٌ ضمنيٌ بأفضليةِ بيئتهِ الجديدة الأهوار ، مما يعني أنه قد تجاوزَ التصوراتِ النمطيةَ التي طالما حددتْ العلاقةَ بين الشرقِ والغربِ.

مثلتْ هذه البيئةُ البسيطةُ معابر التواصلِ بين ثقافتينِ مختلفتينِ ،وشَجعتْ ثيسيغر على تبني مواقفَ إيجابيةٍ تجاهَ الآخرِ ،فهيمنتْ على تفكيرهِ وجعلتهُ أقربَ الى تصوراتِهم وأنماطِ حياتِهم ولا سيما بعد أن تعرفَ عليها بشكلٍ أكثرَ تفصيلا ((اعتمادُهم على أنفسهم يشعرُني بالطمأنينةِ. لقد كنتُ مفتونًا بإحساسي بالتواصلِ مع الماضي . أنا أحسدُ فيهم القناعةَ والاطمئنانَ النادرين في العالمِ هذه الأيام))(52) ، لقد تمكنَ عربُ الهورِ من تقديمِ صورةٍ موّفقةٍ في التعاملِ مع الآخرِ إذ طالما استقبلوا ثيسيغر بحفاوةٍ، وقابلوه بأساليبِ الاحترامِ حتى أنه بدأ يشعرُ بانتمائهِ لهذا المجتمعِ الجديدِ ، وهم بذلك قد فتحوا الأبوابَ أمامهُ لينضمَّ الى عالمِهم الخاصِ، ومثلُ هذه المواقفِ وسواها من عربِ الهورِ لا بدَ أنْ تتركَ أثرًا جليًا عندَ ثيسغر الذي طالما عبّرَ عن انتمائهِ لهذا المجتمعِ وتعلقهِ بهِ ((وأنا أعودُ مرةً أخرى الى مضيفِ فالح على حافةِ الهورِ ، أشعرُ كأني أعودُ الى وطني))(53) ،تتسمُ هذه الصورُ السّرديةُ التي قدمها ثيسيغر بالموضوعيةِ التي أبعدتها عن النمطيةِ التي عرفنا من خلالها تصوراتِ الغربِ عن العربِ عموما التي لا تتعدى (التخلفَ والجهلَ والوحشيةَ) ، ويعمدُ في موضعٍ آخرَ الى بيانِ مدى حُبِ عربِ الهورِ له بنقلِ تفاصيلِ هذا الحوارِ بوصفهِ من أهمِ الأدواتِ التي تكشفُ عمليةَ تبادلِ الأدوارِ بين السّارد والمسّرود الذي غالبًا ما يكّون ثنائيًا يتناولَ مختلفَ القضايا التي تعكسُ صورة الآخرِ ، يكونُ فيها الرحالةُ بموضعِ المسّرود له الذي يتبنى عمليةَ نقلِ الصورِ الى المتلقي في مرحلةٍ لاحقةٍ، يقولُ ((ظننا أنَّ طبيبَنا ذهبَ للعيشِ في وطنهِ . اللهُ يحفظُك يا صاحب . الآن وقد عدت ، سنكونُ على ما يرام))(54)،إنَّ مثلَ هذه الصور السّرديةِ تضعُنا أمامَ مجموعةٍ من التأملاتِ التي تتعلقُ بكيفيةِ التواصلِ مع الآخرِ وسبلِ

التأسيسِ لهذا التواصلِ بناءً على مواقفَ تجعلُ كلاً من الأنا والآخرِ يتحرك ضـــمنَ مســـاحةٍ واحدةٍ، لقد تمكنَ عربُ الهورِ من رســـمِ مســـاراتٍ مهمةٍ بناءً على مجموعةِ معطياتٍ مكنتهم من اســـتيعابِ الآخرِ والعمل على أنْ يكونَ الى جانبِهم دائما.

اتضحَ لثيسغر بالمعايشـةِ والاختلاطِ مع عربِ الهورِ أنَّ هناك صـــورًا أخرى مختلفـةٌ لهؤلاءِ النـاسِ تمكنـتْ من إزاحـةِ تلـك التصـــوراتِ النمطيةِ بكلِ ما تحملهُ من ســلبيةٍ ، وقد أكدَ مرارًا أنَّ معايشتَه لعربِ الهورِ سمحتْ لهُ بالتعرفِ على تفاصيلِ حياتِهم على نحوٍ مختلفٍ عما قدمَه أســـلافُه الســـابقون من الرحالةِ الذين تبنوا طروحاتِ المركزيةِ الغربيةِ في بيانِ تصـــوراتِهم عن العربِ التي اعتمدتْ مجموعةً من الرؤى الثقافيةِ التي أدتْ الى خلقِ ذلكَ التمايزِ بين الغربِ والشرقِ بشكلٍ عام، إذ تتمثلُ هذه الرغبةُ بالتواصلِ مع الآخرِ الشرقي الذي يجبُ أنَّ يتمتعَ بكاملِ الحقوقِ الماديةِ والمعنويةِ تمامًا كشـعوبِ الغربِ(55).إنَّ ما سـجّله ثيسـيغر يمثلُ تفاعلَ الأنا الغربيةِ وتواصـــلها مع الآخر الشـــرقي (عرب الهور) وهو تفاعلٌ جاءَ ليؤســـسَ لحتميةِ الاعترافِ بخصـــوصـــيةِ الآخرِ والدعوةِ الى التعاملِ معهُ على أسسٍ من الندية.

في قبالِ هذا، جاءتْ بعضُ صـورِ عربِ الهورِ التي نقلَها ثيسـيغر مؤطرةً بطابعِها الســـلبي الجامدِ الذي يتبنى مواقفَ لا تقتربُ من جوهرِ الأشـــياءِ بفعلِ تأثيرِ مرجعياتِه الثقافيةِ ومصـــادرِه المعرفيةِ التي تحتمُ عليهِ رصـدَ بعضِ المظاهرِ السـلبيةِ التي لا تتفقُ مع هذهِ المرجعياتِ ،وهي ليســتْ بالكثيرةِ إذا ما قُورنت بالمواقفِ الســابقةِ التي ذكرناها آنفًا . فالغربُ قد ينظرُ الى الثقافاتِ الأخرى من بابِ ((أنَّ المســارَ الذي يتبعُه مثاليٌ ،وأنهُ المســارُ الوحيدُ الممكنُ فيحكمُ على شعبٍ أو حضارةٍ.. بأنها بدائيةٌ أوناميةٌ أو متخلفةٌ ، وفقًا لنقطةِ وجودِها على هذا المســـار، أي وفقًا لكثرةِ أو قلـةِ تشـــابهِها معهُ))(56)، وبذلك تتشـــكلُ الصـــورةُ النمطيةُ الثابتةُ للآخرِ، وقد حرصَ ثيســـغر على تثبيتِ العديدِ من هذه المواقفِ من بابِ التنبيهِ ولم يتبنَ مسؤوليةَ النقدِ والتجريحِ بقدرِ ما كانَ واصـفًا لموقفٍ ما أو حالةٍ بعينِها ،ليقفَ عليها بوصـفِها جزءًا من سـلوكياتِ هذا المجتمعِ الســـلبيةِ. ومن هذه المواقفِ علاماتُ التوجسِ والترددِ في التعاملِ معهُ التي قرأها في عيونِ بعضِ ســكانِ الأهوارِ عندما تعرفوا عليه أول مرة ((قُوبلت على مدى شـهرٍ بالطريقةِ المقيدةِ المرتبكةِ نفسِها ،كنتُ مراقبًا خلالها بصـمتٍ تحيطني وجوهٌ محدقةٌ متفرسـةٌ))(57) مثلُ هذه الريبـةِ تبدو طبيعيـةً إذا مـا أخذنـا بنظرِ الاعتبـار طبيعـةَ مجتمعِ الأهوارِ المغلقِ على نفسـهِ فلا يتقبلُ الغرباءَ بسـهولةٍ ،حتى أنَّ ثيســـيغر يحـاولُ أحيـانًـا أنْ يتخيـلَ مـا يـدورُ في رؤوسِـــهم حيالَه ُ((أحاولُ أنْ أتخيلَ تخمينَهم وتفكيرَهم الذي يبدأ حال مغادرتي الغرفة :

ما الذي يريدُه ؟ لماذا جاء ؟ فلا أحدَ من أهلِ المدنِ يرغبُ أنْ يكونَ نهشًـــا للبعوضِ ويأكلَ طعامَنا ما لم يمتلكْ ســـببًا معقولًا ،لا بدَ أنْ الحكومةَ هي التي أرسـلته ليتجسـسَ علينا ليحسـبَ شـبابَنا وليعاينَ جاموسَنا))(58) لم يكنْ هذا الشكُ وهذه الريبةُ سوى صورًا للعلاقةِ الملتبسةِ بين سكانِ الهورِ والحكومةِ التي نوّهَ عنها ثيسيغر في أكثرَ من موضعٍ .

يعمدُ ثيسـيغر عند تسـجيلِه لهذه المواقفِ السـلبيةِ الى نقلِها على لســانِ غيرهِ فيكونُ بذلك ناقلًا ما سـمعَهُ ،لأن السّـردَ الرحليَ يعتمدُ أدواتِه الخاصـةِ التي تقومُ على المعاينةِ والسماعِ الذي يأتي بالدرجةِ الثانيةِ بعدَ المعاينةِ ، فالسـماعَ ((هو عبارةٌ عن صـدىً عامٍ يأتي بهِ تيـارُ الصـــدفـةِ ليكبّـه في أذنِ الرّحّـالـةِ بـاعتبـارهِ غريبًـا عن المكانِ))(59) .يقولُ على لسانِ الشيخُ صدام عن هذهِ العلاقةِ القلقةِ مع الحكومةِ ((إنهم يعيشـــون هنا في الأهوارِ كجواميسِـــهم وهم مرعوبون من الحكومـةِ... لكنَّ المعـدانَ تنتـابُهم الشـــكوكُ أزاء الغرباءِ))(60) . ومن المظاهر السلبيةِ الأخرى التي سَجلها ثيسيغر بناءً على السماعِ ظاهرةُ السرقةِ ، التي أكدها الشيخُ صـدامُ إذ نبّه رجاله بضـرورةِ الحفاظِ على أمتعتهِ من السـرقةِ ((ضـعا حاجياتِ الانكليزي بينكما والفانوسَ فوقها ،لا بد أن يبقى أحدكُما يقظًا، وإنْ سُـرقَ أيُّ شـيءٍ فلنْ أترددَ عن قتلِكما))(61) يبدو أن هذه الظاهرةَ قد شاعت آنذاك بين بعضِ سكانِ الأهوارِ، ينقلُ أيضًا ما سمعهُ من الشيخِ صدام قولهُ ((المعدانُ لصوصٌ ... عندما تكونُ في الأهوارِ نَمْ فوقَ بندقيتكَ والّا سُـرقت منكَ))(62).إنَّ ما يميزُ سّـرديةَ الرحلةِ عن السّـرديات الأخرى التي تتبنى عنصـــرَ الخيالِ في معالجاتها المختلفة، أنها تعتمدُ البعدَ الواقعيَ الذي تنهضُ بهِ الشـــخصـــياتُ الواقعيةُ ، وتفاعلَها مع عنصـري الزمانِ والمكانِ لتصـبحَ بالنتيجةِ نصًا شخصيًا يعبّرُ عن الأنا والآخر (63).

تعتمدُ اللغةُ السّرديةُ الرحليةُ على المعاينةِ والمواكبةِ التي يتبناها الرحّالةُ في نقلِ صورٍ تكشفُ عن معايشةٍ ومشاهدةٍ لطبيعةِ تمثلاتِ مجتمعِ الآخرِ وقضاياه المختلفةِ ،لـــ ((يظهرَ البعدُ الذاتيُ النسبيُ الخاصُ الذي يطبعُ بميسـمهُ العملَ المحكي))(64)، وهو ما لمسـناهُ عند ثيسيغر في تسجيلِ أغلبِ الصـورِ السلبيةِ عن مجتمعِ الأهوارِ التي منها غرابةُ الأسـماءِ التي تطلق على الأشـخاص ((لقد قابلتُ في مناسباتٍ عديدةٍ رجالًا ونساءً بأسماءٍ مثلِ (جليب: مصغر كلب)،(بكورة : خنزيرة).. وللبعض أسـماءٌ أخرى مثلُ (جريذي)،(واوي).. تطلقُ هذه الأسماءُ غيرُ الجذابةِ لغرضِ تفادي عينِ الشـرِ عن الأطفـالِ الـذين مـات أخوتُهم في طفولتهم

المبكرة))(65)، ومن المظاهرِ السلبيةِ التي استوقفت ثيسيغر الموقفُ السلبيُ من التعليم ((جميعُ الآباءِ تقريبًا قلقون بشأنِ إرسالِ أولادِهم الى المدرسةِ))(66) و ((التعليمُ شيءٌ سيءٌ (صاحب) إنه يأخذُ منا أولادنا))(67) ،مثلُ هذا الموقفِ من التعليمِ جاءَ بناءً على قلقِ الآباء من فراقِ أبنائِهم إذا ما تعلموا و هاجروا مجتمعَ الأهوارِ الى المدنِ البعيدةِ .

لقد انطلقتْ هذه الخطاباتُ من مرجعياتٍ تعتمدُ مبدأ (التباين) وأسسَ الاختلافِ التي لا تعدو كونَها تمثلُ وجهًا آخرَ للفارقِ الحضاري ،فالصورُ السّرديةُ التي قدمتها تبدو مُنكرةً لما جاء في واقعِ حياةِ عربِ الهور أحيانًا ،التي استمدت وجودَها من الخلفياتِ الثقافيةِ المعروفةِ التي تكّونُ صورةَ الآخرِ وتعيدُ صياغَتها بما يتفقُ ورؤاها الخاصة.

الخاتمة

تتوقفُ أهميةُ النصوصِ الرحليةِ في قدرتِها على الجمعِ بين ما هو فنيٌ أدبيٌ ، وما هو توثيقيٌ تسجيليٌ ، بناءً على التجربةِ الحيّةِ المعاشةِ التي تنقلُ الواقعَ بصورهِ المختلفةِ ، لتتبنى اللغةُ بحمولتِها الجماليةِ الكشفَ عن القيمِ الأدبيةِ عامة ، والسّرديةِ منها على وجهِ الخصوصِ .

وبناءً على ما تقدمَ جاءتْ دراستُنا لكتابِ (عرب الهور) للرحالةِ الانكليزي وليفريد ثيسيغر بوصفهِ مدونةً رحليةً تكمنُ قيمتهُ فيما وثقهُ من تفاصيلِ الحياةِ اليوميةِ لمناطقِ الأهوارِ في جنوبِ العراقِ في النصفِ الأولِ من القرنِ العشرين بكلِ دقةٍ، مما جعلهُ أحدَ أهمِ المؤلفاتِ الرحليةِ التي يمكنُ العودةُ اليها للاطلاعِ على أحوالِ هذه المناطقِ في تلك المرحلةِ ،التي تحملُ بين طياتِها أسئلةَ المثاقفةِ وتمثلاتِ التشاكلِ والتباينِ، فضلًا عن السماتِ الأدبيةِ المعروفةِ في أدبِ الرحلةِ .

وقد توصلت الدراسةُ الى النتائجِ الآتية :

أولاً. تُمثلُ سّردياتُ الرحلةِ نصوصًا أدبيةً تتمتعُ بمقوماتِ النصِ الأدبي ، التي تتبنى المعاييرَ الجماليةَ الفنيةَ فضلًا عن مضامينِها التوثيقيةِ المعروفةِ.

ثانيًا .أفادَ (وليفريد ثيسيغر) من تجاربِ زملائهِ الرحالةِ السابقين في تشكيلِ صورةٍ أوليةٍ عن عربِ الهورِ، لينطلقَ منها الى عالمِهم الساحرِ مكتشفًا كلَّ شيءٍ بنفسهِ ،ومؤكدًا فرادتِها وخصوصيتِها ، من دونِ أن يتأثرَ سلبًا بما جاء بمدوناتِهم الرحلية.

ثالثا . سجَّلت رحلةُ ثيسيغر البعدَ الجغرافيَ والحضاريَ لمناطقِ الأهوارِ، إذ تضمنت وصفًا دقيقًا لمختلفِ مظاهرِ الحياةِ، ووصفِ الطبيعةِ المترامية الأطرافِ ،وأصنافِ النباتاتِ والحيواناتِ والطيورِ، فتميزت أغلبُ المعلوماتِ التي وثقتها الرحلةُ باعتمادِها المعاينةَ الواقعيةَ والتجربةَ المباشرةَ التي استغرقت أكثرَ من ستِ سنواتٍ، فصورتْ طبيعةَ مجتمعِ الأهوارِ ، كاشفةً عن خصوصياتِه ،من العاداتِ والتقاليدِ والمعتقداتِ ،فضلًا عن بنيتهِ الداخليةِ.

رابعا. تضطلعُ سّردياتُ الرحلةِ بمهمةِ اكتشافِ الآخرِ ومدِ جسورِ التثاقفِ معهُ، فهي التي تحفظُ بين طياتِها تفاصيلَ دقيقةً لحياتهِ، وتعدُّ خزانةً لعاداتهِ وتقاليدهِ وحضارتهِ ، فضلًا عن المعارفِ الأخرى، وهي في الوقتِ نفسهِ تستوعبُ مواقفَ الأنا ضمنَ إطارِ (التشاكل والتباين)، لتتبنى الآخرَ بوصفهِ مدونةً معرفيةً ، من دونِ أن تتخلى عن هاجسِها الخاص الذي تتضح معالمه بناءً على طبيعة العلاقة بالآخر ، التي تتراوحُ بين التعلّقِ بالأنا والسعي نحو الآخر.

خامسا. يأتي سعي ثيسغر للتأسيسِ لمعابر واضحة للتواصلِ مع الآخرِ (عرب الهور) ، فالتزمَ بسلوكٍ إنسانيٍ وحضاريٍ يتسمُ بالموضوعيةِ ، وسجّلَ كلَّ شيءٍ بأساليبَ تتراوحُ بين المباشرةِ والتنويهِ ، فحظيَ بمحبةِ عربِ الهورِ، ونالَ ثقتَهم ، الأمرُ الذي هيأ لهُ الأجواءَ المناسبةَ للتواصلِ معهم بوصفهِ واحدًا منهم ، فاكتشفَ حياةَ الأهوارِ في جنوب العراق .

الهوامش

(1) ينظر عابر الربع الخالي مرافقوا مبارك بن لندن يتكلمون، دار السويدي للطباعة، دت.

(2) ينظر وليفريد ثيسيغر الصاحب الانكليزي عاشق الأهوار ،تقديم ايمان البستاني، جريدة ايلاف اللكترونية 21/ميو/2001 .

(3) ينظر عرب الهور ، وليفريد ثيسيغر ، ترجمة د.سلمان عبد الواحد كيوش، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، 2009، 8-9 .

(4) المصدر نفسه ،8

(5) تعد أهوار جنوب العراق من أكبر المسطحات المائية في الشرق الأوسط، تقع في جنوبي السهل الرسوبي تقدر مساحتها بتسعة الاف الى عشرين الف كيلو متر مربع ، تكّون مثلث مدن (ميسان وذي قار والبصرة) ،تفيض هذه المسطحات في موسم الفيضانات عند نهاية الشتاء وفي الربيع وتجف أيام الجفاف في فصل الصف ،يطلق على ساكنيها تسمية المعدان اذ يعتمدون في معيشتهم على صيد الأسماك والطيور والزراعة وتربية المواشي، ورد ذكرها في ملحمة جلجامش قبل خمسة الاف سنة . للمزيد عن

الأهوار ينظر أهوار جنوب العراق أرضًا وسكانًا ،د.حسين الزيادي، دار الرافدين للنشر والتوزيع،2019 .

(6) عرب الهور ، وليفؤيد ثيسيغر،20

(7) المصدر نفسه ،12-14

(8) أدلة النص نظرية النقد (القصة والأسطورة)،طلال حرب ، المؤسسة الجامعية للدراسات ،1999، 80

(9) عرب الهور ، وليفريد ثيسيغر،27

(10) المصدر نفسه والصفحة

(11) المصدر نفسه ،28

(12) المصدر نفسه،12

(13) المصدر نفسه ،28

(14) القهوة العربية في الموروث والأدب الشعبي ،محمود مفلح البكر،بيسان للدراسات،بيروت،1995، 13

(15) عرب الهور ، وليفريد ثيسيغر،37

(16) المصدر نفسه والصفحة

(17) المصدر نفسه ،222

(18) المصدر نفسه ،78

(19) الجبايش دراسة أنثربولوجية لقرية في أهوار العراق،د.شاكر مصطفى سليم،ط2،مطبعة العاني ، بغداد، 1970 ،37 .

(20) عرب الهور ، ولفريد ثيسيغر، 80

(21) الأهوار مكان الحرف الأول ولوح الإيمان ،نعيم عبد مهلهل،دار نينوى ،دمشق،2007 ،121

(22) معجم المصطلحات المصطلح السردي،جيرالد برنس،ت عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة،140،2003

(23) عرب الهور ، ولفريد ثيسيغر، 123

(24) المصدر نفسه، 124

(25) في البحث عن جذور الشر ،أحمد حيدر،منشورات وزارة الثقافة، سورية،1997 ،130

(26) عرب الهور ، وليفريد ثيسيغر،133

(27) المصدر نفسه والصفحة

(28) المصدر نفسه،38

(29) المصدر نفسه والصفحة

(30) ينظر نظام الاقطاع في العراق بين مؤيديه ومعارضيه ،عبد الرضا الحميري، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،2012 ،278

(31) العقل في المجتمع العراقي بين الأسطورة والتاريخ ،شاكر شاهين،التنوير للطباعة والنشر،2005، 553

(32) عرب الهور، ولفيريد ثيسيغر،62

(33) المصدر نفسه ،61

(34) المصدر نفسه، 184

(35) الجبايش ،د. شاكر مصطفى سليم ،173

(36) عرب الهور ، وليفريد ثيسيغر،34-54

(37) الجبايش ، د.شاكر مصطفى سليم ،137

(38) عرب الهور ،وليفريد ثيسيغر،38

(39) المصدر نفسه ،80

(40) المصدر نفسه ،81

(41) المصدر نفسه ،101

(42) المصدر نفسه ،68

(43) المصدر نفسه والصفحة

(44) التواصل والتثاقف ، عبد الكريم غلاب وآخرون،منشورات عالم التربية ،الدار البيضاء،ط4 ،2010 ،8

(45) المصدر نفسه ،243

(46) ينظر المصدر نفسه ،8

(47) صورة الآخر في رحلات غربية من القرن التاسع عشر الى القرن الواحد والعشرين،بو شعيب الساوري،النايا للدراسات والنشر،2014 ،6

(48) عرب الهور ن وليفريد ثيسيغر،19

(49) المصدر نفسه ،18

(50) المصدر نفسه ،88

(51) المصدر نفسه والصفحة

(52) المصدر نفسه ،87

(53) المصدر نفسه ،208

(54) المصدر نفسه ،322

(55) ينظر نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ،محمد أركون، دار الساقي،بيروت،2010، 339.

(56) صورة الآخر في الرحلة الغربية الحديثة ،فطيمة بن ربيعي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ،مج12،عدد 1، 2020 ،270 .

(57) عرب الهور ، ولفريد ثيسيغر،153

(58) المصدر نفسه والصفحة

(59) أدب الرحلة الجزائري الحديث سياق النص وخطاب الأنساق (اطروحة دكتوراه)، عيسى بخيتي،جامعة تلمسان بلقايد ابي بكر،2015-2016 ،381

(60) عرب الهور ، وليفريد ثيسيغر،113

(61) المصدر نفسه ،93

(62) المصدر نفسه والصفحة

(63) ينظر الرحلة في الأدب العربي التجنيس وآليات الكتابة وخطاب المتخيل ،شعيب حليفي،رؤية للنشروالتوزيع ،القاهرة، 2006، 163

(64) بنية السرد في القصص الصوفي المكونات والوظائف، ناهضة ستار، اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2003، 239

(65) عرب الهور ، وليفريد ثيسيغر،63-64

(66) المصدر نفسه، 264

(67) المصدر نفسه والصفحة .

قائمة المصادر

- أدلة النص نظرية النقد (القصة والأسطورة)،طلال حرب ، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1999.
- أهوار جنوب العراق أرضًا وسكانًا ،د.حسين الزيادي، دار الرافدين للنشر والتوزيع،2019 .
- الأهوار مكان الحرف الأول ولوح الإيمان ،نعيم عبد مهلهل، دار نينوى ،دمشق،2007 .
- بنية السّرد في القصص الصوفي المكونات والوظائف ،ناهضة ستار، اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2003.
- التواصل والتثاقف ، عبد الكريم غلاب وآخرون، منشورات عالم التربية ،الدار البيضاء،ط4، 2010.
- الجبايش دراسة أنثربولوجية لقرية في أهوار العراق، د.شاكر مصطفى سليم،ط2،مطبعة العاني ، بغداد ، 1970 .
- الرحلة في الأدب العربي التجنيس وآليات الكتابة وخطاب المتخيل ،شعيب حليفي، رؤية للنشروالتوزيع ،القاهرة، 2006.
- صورة الآخر في رحلات غربية من القرن التاسع عشر الى القرن الواحد والعشرين، بو شعيب السادري، النايا للدراسا والنشر،2014.
- عابر الربع الخالي مرافقوا مبارك بن لندن يتكلمون ،دار السويدي للطباعة، دت .
- عرب الهور ، وليفريد ثيسيغر ، ترجمة د. سلمان عبد الواحد كيوش، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، 2009 .
- العقل في المجتمع العراقي بين الاسطورة والتاريخ ،شاكر شاهين، التنوير للطباعة والنشر،2005.
- في البحث عن جذور الشر ،أحمد حيدر، منشورات وزارة الثقافة، سورية،1997 .
- القهوة العربية في الموروث والأدب الشعبي ،محمود مفلح البكر، بيسان للدراسات، بيروت، .1995.
- معجم المصطلحات المصطلح السردي، جيرالد برنس، ت عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة،2003 .
- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ،محمد أركون، دار الساقي،بيروت،2010 .
- نظام الإقطاع في العراق بين مؤيديه ومعارضيه ،عبد الرضا الحميري، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 2012 .

الصحف المجلات

- صورة الآخر في الرحلة الغربية الحديثة ،فطيمة بن ربيعي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ،مج12،عدد 1، 2020.
- وليفريد ثيسيغر الصاحب الانكليزي عاشق الأهوار ،تقديم إيمان البستاني، جريدة إيلاف الكترونية 21/مايو/2001 .

الرسائل والأطاريح

- أدب الرحلة الجزائري الحديث سياق النص وخطاب الأنساق (أطروحة دكتوراه)، عيسى بخيتي،جامعة تلمسان بلقايد ابي بكر،2015-2016.